السنة الثامنة والخمسون
آذار – نيسان ١٩٦٤

بشاره بولس غانم

١٨٥٠ – ١٩٢٣

بقلم جرجي ابراهيم نصر

كما يكتشف الدر في قاع البحار اكتشفنا بالأمس اديباً توارى عن مسرح هذه الحياة ، وأمطنا القناع عن وجهه ، ذلك الأديب هو الطيب الاثر المرحوم بشاره غانم ، بعد ان ترك لنا اسماً رفيعاً مذكوراً بالخير والرحمة .

قرض الشعر وهو في عمر الورود ، فتحركت عواطفه وسالت خواطره باكراً في عصر ندر فيه الأدب ، تحمل في حناياها كثيراً من الحوادث والاخبار والتواريخ والشواهد التي طرأت في عصره وما اكثرها .

جال في لبنان وسورية وفلسطين ونال في كل منها وظيفة ، ونشأت بينه وبين ادباء عصره صلات ومودة فمدحهم ومدحوه ورثى الكثير منهم رثاء مؤثراً وكانت له مغازلات ومساجلات شعرية ضمنها وحيه وشعوره .

نشأ في بيت زها بالعلم وازدهر بالادب . أبصر النور في بكفيا في ٦ كانون الاول سنة ١٨٥٠[1] من والدين كريمين بولس ابراهيم غانم من بكفيا ومريم خود عازر من جزين وقبل ان تنزع التمائم أصيب بفقد والده[2] فاعتنت به والدته اعتناء كبيراً نظراً لصغر سنه وحداثته ودرس مع اخويه اسعد ويعقوب في مدرسة تحت السنديانة وبالنظر لاجتهاده نال ما لم ينله طالب . وما كاد يتم التاسعة من عمره حتى اندلعت شرارة سنة الستين المشؤومة التي اصاب رشاشها لبنان باسره . هربت به والدته مع اخويه وشقيقته براجيتا تسعى ملجأ فجاءت الى دار والدها في جزين . وكانت جزين لوقوعها على كتف الشوف وشراً لشرور اخطر من غيرها ؛ وما دروا الا وباقوس الحصر يدق فيسّوا مسرعين الى الهرب الى قرية دير الزهراني ومنها الى صيدا حيث حطّوا في خان الفرنج وطفقوا على هذه الحال والخوف ينغص مضاجعهم يأساً حتى بات الجميع سواء. وكان الآباء اليسوعيون في اثناء هذه الحركة قد بذلوا كل مساعيهم لتحنين ويلات المتألمين وتطوّعوا لخدمتهم بما بذلوه من ايواء ومساعدات . فطلبوا من صاحب الترجمة وشقيقه يعقوب اذا كانا يرغبان ان يتثقفا في مدرستهم في بكفيا على امل ان يعتنقا الدعوة الاكليريكية ؛ فقبلا الطلب بكل طيبة خاطر وذهبا الى بكفيا حيث تلقّنا علومها هناك . ثم نقل المترجم به الى المدرسة في معلقة زحله وبعد ان عُيّن شقيقه يعقوب معلماً في مدرسة الآباء اليسوعيين في بكفيا . طلب منه الامراء اللمعيون في المتين استاذاً لتثقيف اولادهم فأرشدهم الى اخيه بشاره وبيّن لهم ما هو عليه من المؤهلات العلمية والادبية ؛ فالحّوا عليه في طلبه ؛ وكان بشاره في شرخ الصبا غضاً طريّ العود : فجاء الى المتين حيث استقبله الامراء بكل ترحاب وأعدوا له مكاناً لتثقيف ابنائهم . فبذل كل جهده في سبيل اعدادهم ؛ وبثّ فيهم روح الفضيلة والآداب وأحسن تربيتهم وتثقيفهم مدة سنتين مما أوجب له الشكر والثناء ؛ وهناك تفجّرت قريحته الشعرية ؛ وفي هذه الاثناء نُقل شقيقه يعقوب الى مدرسة الآبـاء اليسوعيين في بيروت وقد عزّ عليه ان يبقى شقيقه بعيداً عنه وشاء ان يجعله بجانبه ؛ فسعى لدى الرؤساء وتكلل سعيه بالنجاح ؛ وجرى نقل شقيقه الى بيروت فساعده في التعليم ، وبرهن عن مقدرة وذكاء ؛ وكان الأب انريكوس اليسوعي رئيس الرسالة في صيدا ينوي تعزيز مدرسته فيها ؛ فدعا بشاره ليكون

١) نقلاً عن سجل احصاء قضاء جزين المخطوط المحفوظ في دار الآثار اللبنانية في بيروت .
٢) توفي والده في ٢ كانون الثاني سنة ١٨٥٣ نقلاً عن السجل المخطوط وهو باللغة التركية المحفوظ في مديرية الآثار في بيت الدين تحت رقم ٤٠٧ .

مدرّساً فيها فلبّى الطلب مرغماً وبرهن اثناء ذلك عن طاعة وعلم وحسن تصرّف . ولمرض اعتراد طلب نقله من صيدا . فاستجيب طلبه وعيّن معلّماً في حين في مدرسة الآباء المشار اليهم وكادت مدرسة البروتستانت هناك تقفل ابوابها ويقضى عليها لما كان يظهره من العناية والمقدرة في تثقيف الطلبة ؛ ولم يطل به الامر هناك اذ كان الحنين يراود قلبه وعواطفه لمشاهدة اهله وذويه بعد غيابه مدة من الزمن ؛ وبعد الحاح نال مأذونية يقضيها في بلدته . فعاد اليها شاباً بعد ان كان فارقها طفلاً وقضى فيها اياماً عذبة استعاد فيها ذكريات الماضي . ثم جاء بيت الدين لزيارة راعي الابرشية المثلث الرحمة المطران بطرس البستاني فأثنى عليه وعلى جهاده وأبدى له رغبته بمساعدته بعمل ؛ فاعتنى بامره وساعده بتعيينه معلماً في الدبية حيث قضى سنة ؛ ثم عاد الى بكاسين يقضي فصل الصيف بعد العناء ؛ وكانت معارفه اتّسعتْ ومداركه نضجتْ وطموحه يدفعه الى التغرّب للعمل واعداد مستقبل له ؛ واذ رأى عمه البطل اللبناني ابو سمرا غانم عازماً على السفر الى الشام طلب اليه مرافقته في سفرته هذه لعله يجد عملاً له هناك ؛ فتوجه برفقته وكلّه أمل ورغبة في الحصول على عمل وانشاء مستقبل له وكان ذلك في شهر كانون الاول سنة ١٨٧١ فاجتاز قرى ودساكر حتى ألقى رحالَه في الشام وحل ضيفاً مع عمه على دار محمد باشا اليوسف فاستقبلا بكل احترام وقضيا اياماً في ضيافته وعجز عن تدبير عمل عنده . وظل في الشام اياماً وهو يسعى دون نتيجة ، فعانى مشقات وأوجاعاً وعذابات واسودّتْ الدنيا في وجههِ ؛ وتألّم كثيرًا لحالته ؛ وشاءت الصدف ان يتعرّف بمواطن احسن معاملته وحضنه وسعى له ، وبعد تعب ونصب ووسائط فعّالة أمكنه ايجاد عمل يقيه شرّ العوز والفاقة اذ عُيّنَ في محكمة الشام بوظيفة مساعد في تحرير سندات الطابو دون معاش سوى ما يكسبه من الاكراميات والمساعدات التي يتلقاها من اصحاب السندات التي يحررها .

وفي سنة ١٨٧٥ حظي بمقابلة محافظ الحاج ، الشريف محمد سعيد باشا شامدين ولفظ في حضرته قصيدة مدحه بها ، ووقعت في نفسه موقعاً حسناً فأقرّه في وظيفته وأشار الى المرجع الصالح بترتيب معاش شهري له وبفضل استقامته وصدقه وصبره نال مكانة رفيعة في قلوب رؤسائه وحاز العطف والثقة اذ كان مثالاً للامانة والوفاء والاخلاص والغيرة على المصلحة العامة يصلح ذات البين بين المتداعين والمتخاصمين بموجب القانون والضمير والعدل .

ولما حل الوباء الاصفر في الشام وكثرت ضحاياه بدأت النصارى تنزح منها خوفاً من العدوى ، فخاف هو نظرًا لاختلاطه مع الأهلين ان يفتك

به هذا السواء الوبيل . رفع طلباً يطلب به نقله الى مكان اخر فشعروا من حوفه وتريثوا في نقله واعلموه انهم يجيبون ملتمسه اذا أمّن شخصاً مكانه فسعى ووجد شخصاً أحلّه محله : ولما شاهدوا إلحاحه ورغبته . أصدروا أمرًا بنقله الى راشيا الوادي لمأمورية المطابع . فجاء واستلم عمله فيها وحال في قراءة مخصياً الأملاك التي كتم أهلها تسجيلها : وحصّل رسوماً متأخرة ورتّب السجلات ونظّمها : فحفظ بذلك للخزينة موردًا كبيرًا . ورفع بياناً بذلك لمديرية الشام فسرّها اهتمامه ونشاطه وعبرته في خدمة الدولة العليّة وأثنت عليه ثناء جميلاً . وبعد ان مكث مدة في راشيا عاد الى الشام فلقي من اولياء الأمر كل عطف واعتبار لما توسموا بشخصه من الصدق والأمانة وطلبوا اليه ان يعود الى وظيفته الأساسية . لكنه أبى ذلك لأن موظفاً غيره يشغل وظيفته التي كان يشغلها سابقاً ولم يشأ ضرره . وفضّل ان يمكث اياماً بدون عمل ليتسنى له تدبير امره . وعزم على عدم العودة الى راشيا الوادي وطلب من رؤسائه تعيين سواه لذلك المنصب ، فأبلغهم رغبته في تعيين شاب يعهد به الكفاءة تمرّن على يده فوقعوا على رغبته : وفي هذه الاثناء صدرت الأوامر بتحرير البيوت والخوانيت فعُين رئيساً لهذه اللجنة فقام بعمله هذا بكل همة ونشاط . صارفاً وقته في البحث عن اصحابها وتدوين الحقيقة . وفي هذه الأثناء وقعت الحرب بين الدولتين روسيا والدولة العثمانية فوقع الرعب في قلوب المسيحيين ونزح فريق كبير منهم الى القرى خارج المدينة خوفاً من تجديد الحوادث وتكرار حادثة سنة الستين ، وكان الخوف تسرّب الى قلبه ايضاً فطلب اجازة يقضيها في وطنه لبنان فشعروا بخوفه وأمّنوه على حياته بقولهم له ، بوجودنا لا ينالك اذى او ضرر او تعد ، وطلبوا اليه انهم يستجيبون طلبه بعد انجاز تحرير الاشغال . اما هو فأصرّ وألحّ في طلبه ، وشاءت العناية الالهية ان تدبر امره ، فقيّضت له رجلاً كريماً ارشده الى وظيفة شاغرة في البقاع الشرقي في لبنان وساعده في تحقيق أمنيته فتوفّق في مسعاه وانتقل الى وظيفته الى كتابة تحريرات قائمقامية البقاع الشرقي في معلقة زحله مركز القائمقامية وهنا صدر امر القائمقامية بتعيينه في كتابة تحريرات مجلس المديرية في قرية غزّه ، واستلم عمله فيها صارفاً كل وقته في ترتيب دفاترها وسجلاتها وكان بعض الأحيان يحضر الى قرية « جب جنين » لاستماع القداس الالهي ، فشاقه موقعها الجميل وهواؤها النقي : وعزم ان يوجّه عنايته لنقل مركز المديرية من غزّه الى هذه القرية وبعد مشقات وصعوبات ذلّلها بمرونته ودهائه فتوفّق في عمله هذا وجرى نقل المديرية من غزّه الى جب جنين ، وفي هذه القرية كان حكّماً بين

المتخاصمين يقصدونه في حل مشاكلهم ويحتكمون الى آرائه . وكان فيما بينهم حكيماً عادلاً ، يعمل للخير والاصلاح : وفيما قام باعمال انسانية تسطّر بماء الذهب تذكر فتشكر . منها جرّ المياه من كروم البلدة الى القرية فانعش الآمال . وبسعيه ايضاً انشأ فيها قبة لكنيسة مار جرجس للطائفة الكاثوليكية وتعليق جرس عليها ؛ وكان يوماً مشهوداً في تاريخ البلدة اذ قرع الجرس لأول مرة في بلدتهم فتجاوب صداه في الأودية وكان الحماس بلغ من الشباب أشده . فحرّكت الغيرة الدينية قلوب النصارى الذين ما كانوا يجرأون انشاء القبة وتركيب الجرس عليها خوفاً من المسلمين الذين كانوا يمنعونهم من اتمام واجباتهم الدينية وخوفاً من حصول تعديات وانتقامات في عصر كثر فيه الظلم والاستبداد. ظلوا طوال اجيال يمارسون واجباتهم الدينية دون ان يكون لكنيستهم قبة فوقهـا جرس . الى ان جاء صاحب الترجمة وشدد عزائمهم واضرم فيها نار الحماس حتى برز هذا العمل الى حيز الوجود . وكان المسلمون قد شعروا بما اقدم عليه النصارى وعدّوها نكاية وانتقاماً فهبّوا واحتجوا على صنع القبة ووضع الجرس : فتوترت العلاقات وساءت بين الطائفتين : وبدأ الصراع مرتدياً طابع العنف : وقام الجهّال يسندهم العقّال ، مستنكرين هذا العمل مهددين بالويل والثبور وعظائم الامور ، عازمين على هدم القبّة وتكسير الجرس .

فوقف صاحب الترجمة خطيباً بين المشايخ منذراً ومنبهاً من العاقبة الوخيمة وسوء المصير الذي يتعرضون له من جرّاء عملهم هذا فيما لو نفّذوه وما يترتب عليه من القصاص الصارم ، فانه عمل منكر يعكّر صفو الأمن ويهدد السلامة ، لأن الشرائع الالهية والمدنية تقضي بحرية الأديان ؛ وللنصارى الحقوق والواجبات مثلما هي للاسلام ، ففي الشام تقرع الاجراس الى جانب المآذن والجوامع ، ولا احد يشكو او يتذمر ؛ فالكنائس والجوامع هي بيوت للصلاة ؛ طالباً منهم تجنب المنازعات ودفن الحزازات حتى تتلاشى الاحقاد والبغضاء فتزول الاوهام والشحناء ويحل السلام والوئام بين الجميع . .

فانصاع الجميع لآرائه ونصائحه وأخلدوا الى الهدوء والسكينة وشعروا بانهم أخطأوا في عملهم وعاشوا فيما بعد عيشة وفق ووئام .

ثم قام بعمل ديني مماثل ايضاً اذ رأى كنيسة الروم هناك خالية من قبّة وجرس ؛ فبذل عنايته في جمع التبرعات اللازمة ، وبنى القبة واشترى الجرس وباتوا يقومون بفروضهم الدينية على وجه تام .

فأعلى منار الديانة المسيحية حيث حلّ بمحبته وغيرته وتدينه واندفاعه ؛ وبعده عن الانتقام والحقد مع المحافظة على حقوق الغير .

ثم عين مأمور دخان في قضاء صور ثم مأمور تحرير النفوس فيه . وفي عام ١٨٨٩ عين مأموراً للريجي في صفد وسنة ١٨٩١ لادارة حصر التبغ والتنباك العثماني في طبريا ثم نقل بوظيفته هذه الى حيفا وسنة ١٨٩٥ الى دمشق وسنة ١٨٩٨ الى نابلس وطول كرم قضاء النبي صعب وكان وكيل دعاوى الادارة . ثم عاد الى دمشق حتى سنة ١٩٠٣ .

وبعد ان اضنته الغربة وانهكته السياسة وبرّح به الشوق عاد الى مسقط رأسه يصرف فيه ما تبقى له من الحياة في الصلاة والزهد والصوم . يعمل لخير وطنه واسعاده واعلاء شأنه . يدير أملاكه ويعتني بعائلته الى ان اشتعلت نيران الحرب الكونية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ ورزئ بأم سيه الحوادث المؤلمة التي تعرّض لها نفسه وعرضه تجاريد وتعسيف واهوال ارهبة ينتصر فيه لها عمّا وعمّا . وكانت له صلات ودية صميمة مع اولياء الشأن استحدمها لخدمة وطنه .

حياته العائلية

كان رحمه الله وفياً مخلصاً ينسى الاساءة ، يعمل للخير ، وزوجاً امياً واباً حنوناً . قام باعباء الحياة العائلية قياماً حسناً : اذ انه بعد غربة طويلة قاسية وصعوبات تعرّض لها في حياته ومعيشته رأى ان يفكر في ايجاد رفيقة لحياته . فاختار نسيبته فريده[1] ابنة فارس حبيب ابراهيم غانم فتأهّل بها يوم الاحد في ٢٠ شباط ١٨٨١ وترأس حفلة اكليله الكهنة الخوري اسطفان الخوري والخوري جرجس ابو حرفوش والأب يوسف الخوري اللبناني من بكاسين والخوري سمعان عواد من الميدان وولده صهره الخوري يعقوب وكان الشاهدان ابن خاله اسعد موسى عازر من جزين وحبوس زوجة اخيه اسعد ، ومكث اياماً في بلدته ، عاد بعدها الى مقر عمله في جب جنين ، وفي صباح الخميس الواقع في ٩ شباط ١٨٨٢ رُزق فيها ابنة دعلها نبيه[2] وفي ٢٨ اذار من السنة نفسها احتفل بسر عمادها المقدس في كنيسة مارجرجس فيها بحضور الأب بطرس الشحروري اللبناني خادم رعية خربة قنافار وكانت العرابة بربارة والدة الخوري سمعان رزق خادم الملكيين الكاثوليك في جب جنين ودعيت بالعماد مارينا ، ونهار الاربعاء الواقع في ١٧ ايلول سنة ١٨٨٤ وُلد

١) فريده توفيت في بكاسين في ١١ شباط سنة ١٩٤٧ عن ٨٢ عاماً .
٢) تزوجت بالاستاذ نعمان ابي ناضر من بكاسين وسكنت القاهرة وتوفيت فيها في ٣ تموز سنة ١٩٥٥

له في بكاسين ابنه فريد : فنال سر العماد المقدس فيها في ٢٠ تشرين الاول من السنة المرقومة عن يد الأب يوسف الخوري البكاسيني اللبناني وكان الشاهدان شهدان لبوس الخوري شيخ القرية وتاج زوجة ابو سمرا غانم ودعي بالعماد بولس ؛ وفي ٢٠ حزيران سنة ١٨٩١ ولدت له في طبريا ابنته ماري فعمدها الخوري نعمة الله جهجاه الماروني في كنيسة القديس بطرس الرسول في دير الرهبان الفرنسيسكان وكان الشاهدان يوسف الياس حوّا عقد ادارة مجلس طبريا والسيدة قرينته .

لكن الموت عاجلها في ١٠ حزيران سنة ١٨٩٢ ودفنت في طبريا فبكاها والداها بكاء مرًّا .

وفي صباح الاثنين الواقع في ٦ آذار سنة ١٨٩٣ يوم عيد تذكار مولد السلطان عبد الحميد وُلد ولده بديع [1] في مدينة حيفا واحتفل بسرّ عماده المقدس في ٢٥ آذار من السنة ذاتها بيد الخوري بولس كساب خادم كنيسة القديس لويس المارونية في حيفا وكان الشاهدان مرقس الحلو وزهرة ابنبة فتح الله ابو مرعي الخوري من بكاسين ودعي بالعماد بطرس لأنه كان منذورًا الى ماربطرس في طبريا .

وقد شمل رحمه الله عائلته بفيض عطفه وحنانه وحضّهم على التمسك باهداب الدين المسيحي ؛ وكان قد اعتاد في حياته التي قضى معظمها في ديار الغربة احتساء الخمرة مجاملة منه لأصدقائه وترفيهاً عن مشاكل ومتاعب الحياة ؛ لكنها اصبحت ملكة فيه ؛ وعندما طعن في السن ونظرًا لضعف بنيته ونحولة جسمه ؛ أخذت تؤثر في صحته ؛ فأضعفت ذاكرته ؛ وأوهت عزيمته ؛ فوهنت قواه .

منزلته الادبية

كان عصره ، عصر جمود وانحطاط وخمول ، فجاء ادبه وشعره كأدباء وشعراء عصره : تنقصه المتانة والقوة ؛ وكان اكثره من الجناس والبديع ؛ والشعر في طور النمو ؛ فدوّن كثيرًا عن حوادث جرت في ايامه ؛ وفاضت قريحته في كثير من المناسبات في الغزل والوصف والمدح والحنين ، وصادق الكثير من رجالات البلاد ورجال الدولة العثمانية لأنه كان يحسن اللغة التركية التي

١) كان بديع طبيباً لامعاً صرف عمره القصير في خدمة الانسانية المثلة وكان يعالجهم ويقدم لهم الدواء مجاناً لكن المنية فتكت به اثر مرض خطير في وطنه بكاسين وذلك يوم السبت في ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٥ ودفن الى جانب خاله حبيب بك غانم .

تلقّبها صغيراً مبتدئ بدرسه اعتباراً من تاريخ ١٣ ايلول سنة ١٨٧١ مساعدته ان يعود بالخير على وطنه وأمته وبلاده . وظل صامتاً في حقل الفضيلة والخير ، صبوراً على عبر الدهر ونوائب الحياة الى ان انطفأت انوار حياته في بكاسين في ٢١ تشرين الأول سنة ١٩٢٣ مأسوفاً عليه مذكوراً بمآثره وفضائله .

وما كاد يغرب حضرته ويمسي في صعيد الغيب ، حتى طوي ذكره وأهمل شأنه ، شأن كثير من الأدباء . ولولا رغبة الكثيرين من المواطنين في احياء ذكراه وفروي عند الحاحهم ورغبتهم ترحياً للفائدة التي نجتنيها من نشر هذه الوثائق والصفحات ، لبقي ذكره مطموراً في زوايا النسيان يعلوه غبار كثيف من الخمول والاهمال .

انه ليس لنا في هذا العمل الذي نكبّ عليه في هذا السبيل سوى خدمة الفكر والأدب واظهار وجه عزيز توارى عن هذه الفانية مخلّفاً لنا تراثاً حافلاً بالأحداث والتذكارات .

وقد عثرنا بين مخلّفات الفقيد الجليل على دفتر صغير واوراق متناثرة حافظ عليها نجله فريد وهي بخط يده ، دوّن فيها قسماً من تاريخ حياته واعماله بلغة عامية . ويغلب الظن انه دوّنها وهو على نهاية ايامه دون ان ينجزها ، ننشرها خدمة للأدب والتاريخ ، مترحمين على الفقيد الكريم بما أعده وكتبه من الحوادث التي تشكل قسماً من تاريخ لبنان ، وما صاغ من قصائد التي لا تخلو من ذكرى تاريخية وفائدة أدبية ومعلومات راهنة :

بسم الله الحي القدير الباقي

أقرّ بان امانتي على امانة الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية وأومن بكلها تؤمن به وتعتقد به وأرفض وأرذل كلما ترفضه وترذله والله يرعاني الى آخر نسمة من حياتي أقول واحرر انا الحقير الفقير لرحمة مولاه القدير بشاره بن بولس ابراهيم غانم المتصل نسبنا الى الجد ابو علوان المقدم غانم محافظ رأس الأمير فخر الدين المعني حاكم جبل لبنان ، اني خرجت من العدم الى هذه الدنيا الفانية بسنة ١٨٥٥[1] على التقدير (حيث كتاب المعمودية احترق بحادثة سنة ١٨٦٠ المشهورة) فوالدي بولس توفي غير فايق عليه وكان رحمه الله خولياً اي وكيل على بعض املاك الأمير بشير الشهابي الكبير المشهور وهو الذي عمّر مزرعة « خفيشه » ووالدتي مريم ابنة لحود عازر من جزين واخوها موسى كان يتعاطى فن المحاماة بالدعاوي وطلع ولده اسعد المحامي المشهور خلفاً .. ولما نشبت

١) بينا تاريخ ولادته في اول هذه الترجمة .

الحرب بين النصارى والدروز فوالدتي جرّتني بيدها واحتي بريجيتا على كتفها الى جزين لعند والدها جدي لحود حيث كانت النصارى متجمعة فيها تحت قيادة البطل يوسف فرنسيس الحاج وعمي ابو سمرا غانم المشهور بالفروسية والشجاعة توجه الى قرية بخنّين ومعه اخي اسعد وشرذمة من الشباب ونحن نمنا في جزين والا العصر دقت الأجراس تنبّه الاهالي بالهرب فوالدتي احدتنا وهربنا مع الاهالي حتى قرية المعمرية وفيها تفرّقت الاهالي شذر مذر : ونحن ذهبنا الى قرية دير الزهراني وتبين الفوقا حيث اخي اسعد كان زارع شكارة حنطة عند احد المتاولة وبقينا عنده حتى صرفنا واكلنا الحنطة المزروعة ومنها الى صيدا ونزلنا في خان الفرنج المعمّر بأيام الصليبية وبوقته حضرت العساكر الفرنسية لبيروت وفؤاد باشا معتمد دولة العثمانية للاصلاح وتحصيل حقوق المسيحيين ومسلوباتهم ومجازاة اهل الظلم والاستبداد وتوطيد الامن والراحة . وبصيدا احسنت الدولة الرحومة الفرنسية بتفريق الخبز يومياً على الملتجئين في الخان المذكور وتوزيع ملبوسات ودراهم بالقرى بواسطة الاب انريكوس والأب رسّو المرسلين اليسوعيين وبعد مدة البادري أنريكوس المذكور صار يجمع الأولاد والايتام ووضعهم في دار الخواجه كتافاكو الحلبي لأنها واسعة وهو ومعه آباء خلافه ومعلمين يعلّمون الأولاد وانا واخي يعقوب ايضاً معهم ويقدّمون الأكل والملبوسات وبأثناء ذلك شرّف البطريرك يوسف فالركا على الطائفة اللاتينية وثبتنا ومنحنا سرّ التثبيت في كنيسة سيدة البشارة في دير الفرنسيسكان بجانب خان الفرنج وبعده حضر قابور افرنسي ليأخذ كم ولد من الايتام الى فرنسا ، فالبادري انريكوس رحمه الله اختار اخي يعقوب وانا من جملة ما اختاره ونزلنا في القارب والا المرحومة والدتنا جاءت تندب وتصرخ رجّعوا لي أولادي من حنوّها علينا فزعل الريس البادري انريكوس واوجعنا من سوء حظّنا ، وبعد مدة حضر قابور ايضاً ونقلنا جميع الاولاد الى بيروت ومنها ارسلونا مع المكاريه جميعنا الى بكفيا ووضعونا في الدار التحتا في سرايا الأمير حيدر اللمعي وذلك حتى كمّلوا البادريه عمار وفرش في ديرهم العامر بعده نقلونا اليه وباثناء ذلك الاب ابوجي فرنسيس كسافاريوس قد جمع بعض الشبان ليدرسوا العربي والسرياني والافرنسي حتى يرسلوهم يعلمون في القرى المجاورة وسماها جمعية الأخوة المعلمين الكسافاريين ، نسبة للقديس فرنسيس كسافاريوس رسول الهند ، واختار بعض اولاد اذكياء اتقياء واخي يعقوب معهم ، فلما استقرّ العمل واحضر لهم معلمين يوسف زوين ويوحنا بشير فأنا عزّ عليّ بُعد اخي يعقوب وما عدت نظرته لأن درسهم واكلهم ونومهم بالطابق

العاري في الدير ونحن في الأقبية بالطابق الأسفل . حتى مرة احتمعت به وقلت لماذا تتركني دعني ارجع لعند أمي واتعلم في بلدتي . . . فطمأنني بكنيسة أصبر . وهو ترجّى الرئيس والمدير باحتضاني معهم . اجابوه اخوك صغير لا يوافق . فاجاب انا اجعله كبير باحضانه معي لأنه ذكي وقابل العلم . اخيرًا ارسلوا نقلوني وليسوني القنبار الأسود ؛ وكنا ندرس الاحرومية ونحث المطالب بالخط حيث ما كان انطبع ؛ واول من طبعه المعلم بطرس البستاني لما فتح المدرسة الوطنية في بيروت . والا جاء اخونا اسعد للشقة علينا وحث الدخول بالجمعية واذ وجده الرئيس يعرف العربي والسرياني قبله وارسله معلمًا الى قرية شبانيه مركز مديرية المتن الأعلى وبقي مدة وطلب ان يحضر ليعلم في مدننا بكاسين فمره الرئيس بذلك فطلب من رهبات قبل مرته فسي طلبه واحضر معه الرئيسة ساميلا أصلها من مزرعة كفرديبان فحضرو وفتحوا مدرسة للصبيان ومدرسة للبنات تحت نظارة الآباء اليسوعيين لحد الآن ... واما نحن .. فالآباء اليسوعيين قد اشتروا محلاً في معلقة زحلة وعمّروا فيه ديرًا واسعاً والدولة العثمانية اعطتهم مزرعة تعنايل في سهل البقاع اراضي واسعة بواسطة دولة فرنسا حتى يعيشوا الأولاد الايتام فنقلونا والأولاد والايتام ديرهم الواسع في معلقة زحله وكانوا كل أحد وعيد يرسلوا بعضنا للقرى المجاورة لنا لكي نعلم في الكنيسة التعليم المسيحي ونلقي بعض مواعظ . فالامراء اللمعيين في المتين طلبوا معلماً لأولادهم الصبيان والبنات في دارهم لوحدهم حيث لا يخالطوا اولاد القرية فارسلوا اخي يعقوب سنة وفي ثاني سنة وضعوه معلماً في ديرهم في بكفيا فالامراء قالوا له قل عن معلّم شاطر مثلك لنطلبه من الرئيس فقال ثم أطلبوا أخي بشاره فطلبوني وأمرني الرئيس بالتوجه لعندهم اجبته للان ما تمت دروسي بالعربي والسرياني واعرف قليلاً من الفرنساوي فأجابني الرئيس الامراء طلبوك وانت فاذر الطاعة فروح لعندهم فغصباً عن ارادتي حضرت لعند الامراء وهم الأمير يوسف والأمير فارس والامير قيس والست نجيبه والدة الأمير قبلان اسعد ؛ فوضعوني في احدى الأوض واحضروا اولاد الأمير يوسف وهم خليل وموسى وأدما ولطيفه وابناء الأمير فارس فندي وسليم وابناء الأمير قيس قيصر وشهلا وابناء الأمير اسعد قبلان وورد وهيفا وسعود وجميله : امّا الأمير قبلان فكان اكبر مني عمرًا فجميعهم تجحوا بالعلم والأدب فالأمير قبلان ترقى الى القائمقامية والى رئاسة مجلس لبنان الكبير والأمير خليل صار قائمقام على المتن واخوه موسى مديرًا للان وبقيت سنتين عندهم باحسن حال وارغد عيش اخيرًا نقلوا اخي يعقوب الى مدرستهم في بيروت فنزل من

بكفيا وقالوا لازم معلماً لأولاد الابتداء اي يدرسون المزامير فقال للرئيس . اخي بشاره احسن من غيره فنزلت الى بيروت فهو يعلّم الأجرومية وكتب المشكّلة وانا اعلم الابتداء والمزامير وثاني سنة المعلم جرجس زوين ترك علم البيان والعروض وانصبّ على ترجمة الكتب وتصليح المطبوعات فوضعوا محله المعلم يوسف الحصروني ووضعوا اخي يعقوب مكانه يعلم الصرف والنحو . وانا وضعوني محل اخي اعلّم الاجرومية وثالث سنة اخي يعقوب وانا حضرنا الى بكاسين لحضور اكليل اخينا أسعد وتشرفنا بلثم انامل سيادة المطران بطرس البستاني في بتدين فانسرّ من معارف وذكاء اخي يعقوب وأمره بأن يبقى عنده يعلّم ١٢ تلميذاً انتخبهم لدرجة الكهنوت فرضخ للامر وبعدما بقينا مدة شهر في بكاسين بالأفراح رجعنا لعند سيادته . فاخي بقي عنده وانا نزلت الى بيروت سنة ١٨٦٩ فكان الأخوة الكسافاريين بعضهم ترك التعليم وبعضهم ارتسموا بدرجات الكهنوت المقدسة والذين بقوا قليلين فأحضروهم الى بيروت مدرستهم ووضعوني معلماً ورئيساً عليهم واعلم بالمدارس عوضاً عن اخي ثلاث ساعات صرفاً ونحواً وبقية النهار في محلة اخوتنا وباخر السنة حضر البادري انريكوس رئيس ديرهم بصيدا وطلبني من الرئيس حتى اعلّم عنده فأمرني الرئيس فخضعت حسب امر الطاعة وحضرت لصيدا فوجدت باني اعلّم الأولاد الصغار واعلّم الأولاد الكبار الدارسين افرنسي والصرف والنحو فصار الحمل عليّ ثقيلاً حتى مرضت فطلبت من الرئيس ان احضر للبلدي بكاسين لأرتاح وابدّل الهواء فقبل عذري وقال ارسلك الى قرية جون تشمّ الهواء وتعلّم الأولاد لأنه يوجد مدرسة الى البروتستانت بالحال طلعت اليها فاستقبلونا بكل لطف وفتحت المدرسة وكنت آكل وأنام في بيت الخوري حنا نبعه وبعده نقلت لبيت ارملة تدعى أم بشاره حتى نهايه الصيف وكنت ازور دير المخلص رئيسه الأب يوحنا كحيل شامي وكان بطركهم المتنازل باحوت شامي ونزلت لبيروت بعمل الرياضة فأبقوني في بيروت اعلّم ٣ ساعات الصرف والنحو في المدارس وبقية النهار ادرّس اخوتي الكسافاريين واشتري لهم اللوازم واقبض الدراهم من البادري الرئيس سليمان وبفرصة المدارس توجهت الى بكاسين ومررت لعند سيادة مطراننا البستاني الذي كان رسم اخي يعقوب كاهناً وارسله الى قرية عين قنية بانياس لاصلاح احوال الطائفة فيها فحينئذ قمت من بكاسين قاصداً زيارة اخي يعقوب ومررت على يوسف فرنسيس الحاج في القليعه وهو مشهور فهذا ثاني يوم ركب ومعه ولده سعيد واسعد وعليا المشهورة بالفروسية ونزلنا سوية الى مزرعة دفنا في الحولة وثاني يوم اركبني فرساً ومعي رجل وتحرير

الى اخي الخوري ليُنزل على الفرس لعنده فوصلنا لعنده وكان مشغولا في مجلس ادارة القنيطرة لأنه كان رئيس روحاني فيه فأرجع الرجل واصحبه بحملة رجال نصارى ودروز لمساعدته بتتريب سطوح البوايك وبعد مدة قصد التوجه للشام لاصلاح وتخنيص الاموال المطروحة على اهل القرية واخذني معه للشام ونزلنا في دار بطركخانة الموارنة الذي كان رئيسها الخوري موسى كرم وشرعمّرها مع الكنيسة التي على اسم القديس انطونيوس قرحيا وصرنا نسعى مع الاقلام في سرايا الحكومة لعلّ نجد محلاً لاستخدم فيه كاتباً فوجدنا انه يلزم زمان طويل حتى يُعزل احد حتى ادخل محله واخي الخوري أنهى اشغاله ورجعنا الى عين قيه بانياس التي معمّر بجانبها قلعة كبيرة وتحتها دهليز نازل الى نهر الحاصباني الذي تمر بقرية بانياس الذي كان شيخها اسماعيل العرقاويه وولده شكر وفاتحين معروف للضيوف للرايح والآتي : وبعدما استرحنا مدة عزم اخي الخوري على السفر للوطن وحضر معه شيخ الطائفة خليل خزعل وابو سمرا وخلافه واحضروا معهم ٣ رؤوس غنم وقمنا جميعاً ونحن في قرية الخيام ومنها اشترينا كم رأس بطيخ وزن الراس نيف اله ارطال فوصلنا بكاسين وذبحنا خروف وثاني يوم قصدنا بتدين لقبلة اناهل سيادة مطراننا (رحمه الله بطرس البستاني) ومعنا الخاروفين والبطيخ فاستقبلنا سيادته بكل انس ولطف حسب عوائده الحميدة : وانفرد اخي بسيادته واخبره عن سفرته ونجاحه باشغال الطائفة كنا والمشايخ يشكروا لسيادته منه ، وثالث يوم رحلوا المشايخ وبقينا نحن وسألني سيادته (ماذا تعمل اليوم) اجبته باني توجهت للشام وطلبت الدخول بسرايا الحكومة فأجابوني يلزم لذلك وقت حتى يُعزل احد او يفتح محل جديد فرجعت خائباً فقال لي ، ادرس اللاهوت ونرسمك خوري مثل اخيك : اجبته يا سيدي يكفني من البيت المبارك واحداً . فضحك وأجاب حقاً غير مدعو لهذه الدعوة ، فخذ هذه الورقة لأخي فضول افندي فأخذتها ونزلت الى دير القمر وسلّمتها له (لأنه كان رئيس مدارس الحكومة بأيام نصري فرانقو باشا) فقال لي توجّه الى الديريّه وعلّم فيها وشهريّه ليرة ونصف عثمانية ١٥٠ صاغ وأعطاني مكاتيب وكتب الى قرية الديريّه وسلّمت تحاريره الى الخوري والى المختار فنبّهوا الأهل فأحضروا اولادهم وصرت اعلّم في الكنيسة واستأجرت غرفة بجانبها والذي كان من الأولاد يرغب يدرس سرياني او افرنسي فليحضر الكتب من كيسه واما العربي فالكتب على اسم حكومة لبنان ودعي اسم المدرسة النصريّة (على اسم نصري فرانقو باشا المتصرف) وبقيت اعلّم الى آب اي سنة ١٨٧١ فصارت فرص المدارس وفي تشرين رجعت الى الدير

لعند فضول افندي لاستلام الكتب اللازمة للمدرسة فكان الجواب انه وضعها معلّم خلافك (وهو من اقاربه) فرجعت لعند سيادته واخبرته فحرّر له بان يضعني في مدرسة دير القمر فاجابه قد عين لها معلمين : فسيادته حينئذ تكدّر منه لعزلي بدون سبب وحرّر لي تحريرًا الى رئيس دير الفرنسيسكان بالقدس الشريف ورجعنا الى بكاسين واخبرت والدتي واخي اسعد بذلك فما رضوا بل امروني ان اعلّم في بكاسين فما احببت هذا العمل والا اخبرني عمي ابو سمرا آغا الفارس والبطل المشهور بانه عازم السفر الى الشام للتشكّي على محمد باشا اليوسف لأنه كان مربيه في ايام والده احمد باشا اليوسف فقلت له انا عازم على التوجّه معك لربما أحصل بوجوده ومساعدته على مصلحة ما . فركبنا في كانون اول سنة ١٨٧١ وتوجهنا وتمنا في قرية عيتيت المقاع وثاني يوم في ميسلون واليوم الثالث دخلنا الشام الفيحاء ونزلنا في دار محمد باشا اليوسف ومن الحظ وجدنا موظف متصرف على لواء حماه فاستقبلنا شفيقه محمود بك وفارس افندي صهره بكل لطف وانس وعمي كان آخذ معه هدايا فسلموها لحريم الباشا . ولما عرفوا به طلبوه ودخل لعندهنّ وبتنا بكل راحة مدة ثلاثة ايام بعده محمود بك وفارس افندي احضروا حصان وسيف وجنت وسلّموهم الى عمي ابو سمرا وأمروه بالذهاب الى القرى التي هي ملك الباشا وكيلاً عليها وأمروني بان ابقى بدار الباشا مع يوسف افندي الدبس من معلقة زحله كاتب اشغال الباشا العمومية بداره العامرة حتى يجدوا لي محلاً مناسباً في السرايا او خلافها حتى وقالوا لي ان اتوجّه الى حماه لعند سعادته فعنده في المتصرفية مأموريات متنوعة وربما بقّيك مديرًا في السلميه لانها مسيحيين فأنا لست معوّد على الغربة فرفضت ذلك وبقيت في الشام وانا غريب لا اعرف احدًا سوى الخوري موسى كرم رئيس بطركخانة الموارنة فقصدته وعرضت له الاحوال وان يمد يد المساعدة بتدبير مصلحة ما ان كان بالسرايا أو عند التجّار وكان رئيس روحي في مجلس ادارة ولاية سورية : فأجاب لو تنظركم من افنديه وبكوات بالقهاوي مستنظرين مأمورية ما ، فأجبته نعم يا ابت اعرف هذا ولكن الأصل ، الظهر والمال والرجال ولو ما كنت حضرتك وكيل الطائفة في الحكومة ومقتدر على ذلك لما كنت ترجّيتك بذلك وودعته وقلت انشاء الله نراك بخير وما عدت دخلت دار البطركخانة الا بعيد الفصح بل كنت اسمع القداس عند العازارية او الفرنسيسكان ودرت بالشام ومتلي الوف واقصد أكابر الاسلام والنصارى وانتظر المواعيد حتى الله تعالى شفق على عبده فنظرني افندي امام دار الكنيسة بهيئة رجل جبلي من لبس شروال

الخوح وطربوش معرني فسألني . من جنابك يا شاب احنه . من لبنان من قرية بكاسين فاجاب انا من جزين اسمي موسى بن نمر العجيل وانت . اجبت بشاره برلس عائم احو الخوري يعقوب النائب الاسقفي في عكا وصرر وخالي موسى حود عازر من جزين فقال لي مادا تشغل هنا : اجبته جئت لعند محمد باشا اليوسف لماذا يستخدمني عنده او بالحكومة فوجدته متصرفية حماه بالآن دائر لعتي احد محل ولا ارجع للدي خائباً فأخذني لعنده وبعد محادثة طويلة قال لي باكراً تعال لعندي فجئته فأخذني معه للسرايا وامتحني بالكتابة والانشاء والحساب وسلّمني ورقة فسطّرتها واعطاني سند مطبوع بالتركي وقال لي انقل عن هذا الدفتر اسم وحدود الاراضي كما هو مكتوب فأخذت ونقلت طبق ما هو محرر بالدفتر فوجده مضبوط والا حضر رفيق بك مدير دفتر حسابات الولاية والشكايات عمر بك حولاق فسألوه عني واجابهم هذا احد اصحابي من لبنان فامتحنته وهذه الورقة خطّه فانبسط عمر بك منها وقال له خلّيه يساعدك لأن اشغالك كثيرة (لانه كان اول تحرير الاراضي واعطاء السندات لاصحابها) وبعونه تعالى بدأت أنسخ عن دفتر تحرير الاراضي واحرّر السندات بكل تأنّي وضبط ولما نظر الباشا حسن خطي فصار يحرّر مسوّدات الى مأموري المتصرفيات والقائمقاميات ويعطيني ابيّضها فانسرّ مني جداً (حينئذ نقلت نقطة خاء الخط للطائي) وموسى افندي صار يأخذني انام عنده وعمر بك قال لي المساء اتبعني الى بيتي فشيت وراءه فأمر البواب بأن يصعدني الى القصر محل الاستقبال فجلست انتظر رحمة الله والفرج لانه سميع مجيب وراجيه لا يخيب ، والا انفتح باب القصر الداخلي من جهة باب الحريم والبياك عمر بيده بفتحة فيها طاقم اسلامبولي (حيث بوقته ما كانوا يقولوا طاقم افرنجي) وقال لي البسه وخرج . فخلعت طاقم الجوخ العربي ولبسته .. والا حضر فوجد البانطلون طويل فقصفته وقال لي اشلحه فأخذه للحريم وصلّحوه واعطاني طربوش عزيزي (لان السلطان عبد العزيز هو الذي آمر بلبسه كافة خادمي الحكومة) فأخذت ما اكرم عليّ به وخرجت شاكراً ألطافه وحنوّه (كان يومئذ ثمن الطاقم ٥ ليرات عثماني) ولا يوجد بالشام سوى خياط ارمني وخياط يهودي : وتوجهت لعند موسى افندي وثاني يوم لبسته وحضرنا سوية للسرايا وبدأت أحرّر مما ابتدأت اولا حتى حضر المدير وعمر بك فنظر المدير اليّ وقال لي الآن صرت افندي اجبته بحسن توجيهاتك وانظارك الشريفة وغيرة وحنوّ عمر بك (رحمهم الله تعالى) وبعد كم يوم أمرني المدير لأتبعه مساء توجهوا رفيق وعمر بك فتبعتهم فالتفت اليّ وقال قدّم تمشي سوا اجبته معتذراً بأن لست مستحقاً ذلك

احباب لست انت بخادم بل نحن كلنا خادمين الدولة العليّة فوصلنا الى داره لأنه قريب الى دار عمر بك فجلست مع عمر بك في الصالون وهو دخل للحريم وخرج وبيده بقجة وفيها طاقم جوخ وقال هذا موافق لجسمك لأن قامته مثل قدّي لأن عمر بك كان اطول منا فأخذته وشكرته جدًّا وتوجهت لعند موسى افندي فقال لي هذين يكفوك زماناً احسنه لكن بدون دراهم لا ينفع اللبس بحيث صار الكيس فارغاً اجابني اصبر حتى الله يدبّر ينعم عليك ويحسّن قلب اولياء الأمور الكرام : انت تنظم اشعارًا اجبته قليلاً قال انتظم قصيدة الى محمد سعيد باشا شامدين محافظ الحاج الشريف لعلّه يوصّي من يلزم ويعيّنوا لك معاشاً شهرياً فنظمت قصيدة مطلعها : سلمى جفتني فسل ما تعني من حيّ الخ. وتوجهنا لدار الباشا وقرأت القصيدة فصار الخصريين يتكلموا سرًّا مع بعضهم فهمت انهم يقولون شاب مثل هذا لا ينظم هكذا قصيدة معاني دقيقة وغزل رقيق : حتى وصلت الى ختامها . قلتُ

بشارة الغنم قد حاكت مراقمها في أسعد الخلق ضاع المسك خاتمها

يا افصح الناس سامح أبكم البشر : فقالوا حقاً طيّب الله انفاسك . فسأل الباشا : موسى افندي عني اجابه حضر لدار محمد باشا (وهو آخذ ابنته) فلم يتوفق بعمل وما يساعدني بتحرير سندات الطابو حتى يتحنّن الله عليه اولياء الأمر ويعيّنوا له معاش شهري فقال الباشا : يبقى في السرايا يمرّ امامي لأتذكّره : وتكلم موسى مع مديرنا والباشكاتب بخصوص المعاش أجابوه ليس عندنا معاش حتى الآن : لكن نعطيه عن كل سند نصف بارة . وان لما اصحاب السندات يأخذوها خلّيه يأمن كل منهم بخشيش ريال او ٢ او ٣ حتى الله يفتح له محل فصرت احرّر بكل عجلة حتى بالنهار احرّر ماية سند يطلع ٦ غروش يومياً وآخذ بخشيش مقدار ريال يومياً يكفوني مصارفات واجرة أوضة وقد تعرفتُ هناك بأسعد خليل غازي[1] من بلدتنا بكاسين كان يسلّي ويغني محمد افندي باشكاتب مجلس ادارة الولاية وحبيب فارس سعد (بكاسين) وحبيب تادي صدقه[2] « يونس » (بكاسين) واخوه امين خادمين ووكلاء على مزارع اسعد افندي الغزّي رئيس مجلس ادارة لواء الشام وبطرس فارس سعد (بكاسين) كان مستخدماً بالكمرك في بوابة توما فهذا قال لي استخدم

١) جاء والده برفقة اني سرا شاهم الى بكاسين من بعيدات في الحركة الاولى وسكن فيها مع ذريته ونزحوا بعدئذ الى مصر ثم بيروت .

٢) جد نقيب المحامين المرحوم حبيب ثابت والاستاذ الفرد ثابت رئيس محكمة الجنايات سابقاً .

مثلي بتعاش ٥ مجيديات وبرّاني من الداخلين يأخذ ريال وريالين احبته لا اقدر اسهر وانام على البوابات ولا استخدم الا بسرايا الحكومة : والا سعيد باشا نبّه على مديرنا بأن يعين ليماية غرش صاغ شهرياً بأي وجه كان وهكذا حرى ومدخولي من البخشيش ايضاً فصار يكفي مصروفي حتى يوماً ما جاء جرجي افندي دمّر صهر مخائيل مشاقه المشهور وطلب سندات طابو نصف قرية دير سلمان فوعدته بتحريرها عاجلاً وثاني يوم جاء فسلمته اياها فوضع لي على الطاولة ليرة فرنساوي : قلت له دعها في جيبك : قال لي قليلة ؟ قلت لا . لا آخذ منك قال لي نبقى نشوف السبب فنظرنا الباشكاتب واومأ له فحضر امامه فسأله ما لك والكاتب فأخبره وتوجّه ومساء قال لي الباشكاتب تعال معي ومدير افندي فتبعتهم وتوجّهنا الى المرحه مستهيروه وبائناء الطريق قال لي الباشكاتب ما هو السبب ما اخذت الليرة من جرجي افندي دمّر وهذا غنيّ وملتزم بتقديم مأكولات العساكر بالشام ونحن أذناك بأن تأخذ بخشيش وهذا ليس هي رشوة فأجبته عمّرت بيتين في حارة القنوات (اي بيته وبيت المدير) يلزمني عمار بيت في حارة النصارى فضحكوا وقالوا حقيقة انك غانم وعاقل .. واذ مررتُ بسوق جامع الأموي يندد جرجي افندي تفضّل يا افندي فدخلت مخزنه وعنده ثلاث كتّاب وامين صندوق يدعى عزيز فبعد ما شربنا القهوة سألني لماذا ما اخذت الليرة مني اجبته ليست قليلة لكني ما وجدت اسم نصراني في بلد غيرك فضحك وقال القروش التي عمّا تأخذوها والمعاش ماذا تعمل فيهم ؛ اجبته المعاش لا تسأل عنه والبرّاني أصمّد منه لأجل وقت العازه فقال انت اقبض المعاش وسلّمني الدراهم التي تأخذها يومياً واحرر لك كمبالة وهكذا صار جمعنا الدراهم بلغوا ١٥ ليرة فقال الى عزيز حرّر له كمبالة بالفايض على الماية ١٤ غرش فضحكت : قال قليل الفايض ، اجبته لا ؛ البنك يدفع فايض الماية ٤ غروش فأجابني هذا مقابل ما عملته معي بدل الليرة ومهما صمّدت احضرهم الى عزيز وهو يعطي كمبالة فشكرت الطافه ؛ ويوم الأحد عزمني للغذاء واخذني لزيارة عمّه مشاقه ؛ مخائيل مشاقه من دير القمر ؛ فسألني حضرته ؛ اجبته اخو الخوري يعقوب رئيس ونائب مطرنخانة بمجلس ادارة عكا وبقضاء صور ؛ ولماذا جئت الى هنا اجبته عمي ابو سمرا غانم حضر لعند محمد باشا اليوسف لأنه كان مربّيه بأيام والده احمد باشا فوجدناه متصرف في حماه ، وصرت مخجولا ان ارجع من الشام خائباً فارغاً حتى الله يسّر امري وتعيّنت بقلم الدفتر خاقاني معاون الباشكاتب بالعربي حتى عرفت صهرك الكريم جرجي افندي واحضرني لسؤال خاطرك

الشرين . فسألني عن تلميذه توما الخوري [1] لأنه تعلّم عنده الطب احبته ان اخي الخوري يعقوب احذه نعكا وعيّنه عضواً في محكمة اللواء عن الطائفة المارونية قال لي هذا عجب أما وجد في اللواء رجلاً اهلاً لهذه المأمورية اجبته كل الناس تعجّبوا من تنفوذ اخي الخوري يعقوب بهذا العمل . ثم خرجنا واخذني جرجي افندي لعند ناصيف بك مشاقه فبس فتصل اميركا ثم لعند اخيه الدكتور سليم مشاقه وتعرّفت بعده بأوجه واعيان المسيحيين من بيت الشاميه والبحري والملكي وشلهوب والمسابكي وفي بطريرك الروم الارثوذكس والكاثوليكي ومطران السريان والأرمن وبرؤساء دير الفرنسيسكان والعازاريه ومن اليهود بيت الاسلامبولي وحاخام باش وصاروا يرسلوا لي بعض الفقراء لمساعدتهم في الحكومة وفي تطويب بيوتهم وارزاقهم بدرجة حنيتة ومن الاسلام تعرفت في بيت محمد باشا المعرني بن عبد القادر المشهور ومحمود افندي حمزه مفتي الشام واخوه اسعد رئيس مجلس اللواء ومحمد حسن باشا البارودي وهرلو باشا عابدين وولده احمد عزت بك وخلافهم كثيرون من جمعية البروتستان ويكلفوني بمساعدة الفقراء وتخفيض الرسوم عنهم وكنت افعل كل مساعدة بدون عوض فحمد الله الأعظم الذي هو كان يحنن قلوب اولياء الأمور عليّ من الولاة العظام . نرجع الى جرجي افندي دمّر (فكاهة) كان بالشام امرأة يهودية مغنّية ذات جمال باهر وصوت حسن اسمها « حانولا » وما كانت تذهب الا لبيوت الأكابر ويدفعون سلفاً عشر ليرات حتى تتوجّه تسهر وتشرح صدورهم . فما كان من جرجي افندي دمّر الا وارسل كروسّه لأمام دار السرايا مع انسايق تذكرة لطيفه الى المدير رفيق بك والباشكاتب عمر جولاق يدعوهم للسهرة عنده ويكون برفقتهم بشاره غانم .. فبعدما قرأوها سلّموها لي ونزلنا مساء بالكروسّه ؛ وباثناء الطريق اننا معزومين لعنده بمعيتك ، اجبتهم وما ذلك الا من شمولي بانظاركم حتى تتأكدوا اني عمّرت بيتاً فسيحاً في حارة النصارى ، بيته وبيت عمه مخايل مشاقه واولاده وغيرهم ايضاً . فاجابوني حقاً انك بشاره وغانم بما تفعله والله يرقيك الى احسن مأمورية ؛ ونحن جالسون بالسهره مع بعض الأوجه وانا جلست بجانبهم واقوم اقدم لهما المشروبات ؛ حتى قالوا لي لماذا لا ترقص الست قلت لهم ما احد كلّفها قالوا قم كلّفها وسلّمني رفيق بك نصف ليرة اخذته وتوجهت الى التخت الجالسة عليه مع بقية المغنين ولصقت نصف الليرة على جبينها الوضّاح ومسكتها

---

١) الدكتور توما الخوري + ١٩١٥ في بكاسين .

بيدها وقلت لها شرّفي وهزّتي قوام غصن البان فوضعت فيها بأذني وقالت ما احد سبقك على لصق نصف الليرة بجبيني وضحكت وبدأت تدور على الدوات الحاضرين ويضعون بيدها النقود وتضعهم في صدرها حتى قاربت الوصول لعندنا قلت لمدير ولباشكاتب انا ما معي نقوط ذا . كلا منهم ريال ولما وصلت امامي ترقص مديت يدي بكفها فارغة فقامت بيدها ووضعتها على صدرها كالعادة وضحكت من هذه الحركة وبقينا لأواخر الليل وتفرّق جمعنا ايضاً .

ان محمد هولو باشا العابد اشترى قرية « حزرمة البصل » في الغربية وبراده حلب افراد البائعين حتى يتفرغوا له ويقرّوا بالبيع .. فوجد ان ذلك يكلّف مصاريف كلّية فجاء الى مدير رفيق بك والباشكاتب نور بك يستشيرهم عما يفعل فأجابوه طبعاً يكون التراغ بحضور مأمور النصابو فاكراماً لك تفوّض بشاره افندي غانم يتوجّه الى محلك ويحضر ويحرّر حسب النظام : فتوجهت ثاني يوم لداره الواسعة في سوق ساروجه فوجدته ومحضّر جملة اشخاص من البايعين وجلسنا في محل واسع وسألت عن مختار القرية والامام فوقفوا امامي واحضرنا احد الفلاحين البايعين وسألته حسب النظام عن الاسم والقرية واسم الأرض ومساحتها واسم القرية اجاب : قرية حزرمة البصل : فتأملت والا الباشا يقول لي مالك صافن وبما تفتكر : اجبته مرادي أحرر قرية « حزرمة الباشا » هل ترغب ذلك : فأجاب بالحقيقة بشاره غانم ذو معرفة وذكاء كيف لا وانت اخترت هذا الاسم وانسرّ من ذلك ولما قارب العصر قمت لأنصرف فقال باكراً تأتي قبل الظهر حيث يأتون الفلاحين : اجبته حسب امرك وتركت الدفاتر على الطاولة ومشيت قليلاً والا وضع يده بجيبي وقال مع السلامة فحالا مدّيت يدي الى جيبي فوجدت ليرة عثمانية فالتفت وقلت له لماذا هذا قال هذا ثمن اسم القرية الذي بعته لي : فضحكنا وودعته وثاني يوم عمل لنا غداء فاخراً ولما تمّمت تحرير القرية وصدّق عليها المختار والامام ووجوه القرية قدّم هذا الدفتر لمجلس ادارة اللواء للمصادقة وبعده اتمام المعاملة النظامية حررت سندات الطابو ولما تمّمت : امرني المدير بأن اخذها له لداره العامرة فتوجّهت وسلّمته السندات وبعدما تشكّر مني كانت الجائزة خمس ليرات فأخذتها مسروراً فسألني المدير والباشكاتب عمّا اجراه معي فأقريت بذلك (واحمد بك العابد الذي ترقّى لدرجات عالية في الاستانة هو ولده الاكبر) وكما حررت في قرية دوما جنتلك محمد حسن باشا البارودي وكانوا يرسلوني لبعض القرى في النظر ببعض اشغال تهمّهم معرفتها وبقيت احرّر واسافر

مع الباشكاتب تتحوّل في قرى نواحي الشام الاربع حتى وصلنا الى الشك ويبرود وفاره ودير عطيه حيث حدود حمص وحماه وكانت ملايكة الله تحرسني ورضا اولياء الامور الكرام مسرورين من سيري معهم بالصدق والاستقامة والسلوك الحسن .

اخيراً حلّ الحواء الاصفر في الشام وبدأت العساكر تهرب من غضب الله وخرج منهم جمهور الى القرايا فخفت ووقع الرعب في قلبي فطلبت من المدير يسمح لي برخصة حتى احضر الى وطني وانظر اهلي فاجاب سفرك ما هو حباً باهلك وتترك مركزك الذي نحن بغاية العازه لك فيه لكن نظراً لخدماتك وخوفاً من وقوع المرض فيك يلزم تدبّر كاتب من النصارى يمسك شغلك . فانا كان لي صديق يطلب مني محل باحال احضرته وهو يوسف عطايا .. فقال المدير كراماً لخاطرك فأني ارسلك الى راشيا الوادي حيث المأمور الذي فيها عبر عارف اصول المصلحة ونظام الطابو وكل ما يتقدمه لنا من اوراق وجداول بحالة الغلط . فأولا تغيّر الحواء وقريب الى بلدك وثانياً تكون اصلحت اشغال المأمورية ونفعت الخزينة العامرة . فكان كلامه عندي كأنه وحي من الله فشكرت حبه وانعطافه عليّ وبالحال اخذت أمر الوالي الى قائمقام قضاء راشيا وصعدت من الشام اليها واخذت تحريراً من مطران طايفة السريان الى ايلياس افندي ابي حمد الحلياني مدير مال القضاء توصية بأمورتي ونزلت ضيفاً عنده واستلمت كافة دفاتر واوراق من مأمور الطابو ابو سعدا يارد وبدأت بالتفتيش والسؤال من مختاري القرى على الذين متأخرين او كاتمين تطويب اراضيهم وحصّلت بشهر واحد حاصلات للخزينة من رسومات وخلافه مبلغاً وقدمت المحاسبة بجداول بيان ما جرى لمديرية الشام . فرجع الجواب باظهار كل ممنونية وتشكّر على ذلك وصرت اتجوّل القرى فاحصاً مفتشاً على الاراضي المتروكة بدون طابو ونجحت جداً وكان جملة من اهل الشام الذين هربوا من الحواء الاصفر ؛ فمضيت مدة الصيف معهم بكل سرور وانشراح كأني بالشام واوجه قضاء راشيا آل العريان وذاكي من الدروز ومن النصارى بيت ابوحمد ومالك وخلافهم وكان امراء الشهابي حيث لهم سرايا كبيرة هي مركز الحكومة جميعهم يتردّدون عليّ وكنت اعلّم سعيد عسلي وتقولا عزقول على مسك الدفاتر وتنظيم الجداول ويساعدوني على التحرير والاشغال بالمأمورية ؛ وفي اوائل الشتاء نزلت الشام فاستقبلني المدير والباشكاتب بكل لطف وانس ونزلت ضيفاً عندهما ؛ فقالوا لي هل ترغب ترجع الى محل اشغالك هنا اجبتهم ؛ لا لا (لأن قطع الارزاق مثل قطع الاعناق) خلوا الكاتب في

شغله . وانا فالله يرزقني احسن منها مأمورية تحسن توجيهاتكم وانظاركم عليّ...
فاسرّوا من هذا الجواب جداً : فقالوا فادا لا تغيب عن بيوتنا : يومياً نهاراً وليلاً نتسلّى مع بعضنا فشكرتهم على ذلك . قالوا من ترغب تعيّن بدلا عنك في مأمورية راشيا فقلت نقولا عزقول لأني علّمته الأصول حتى اضعه في محلّي وهو اليوم تركته وكيلاً عني (هذا مكافأة للمذكور لاني كنت ساكن عنده ووالدته واخته كانوا يخدموني بكلما يلزم) فرفعوا تقريراً للوالي بتعيينه . حينئذ ارسلت تحرير اليه واخبرته وقلت له يحضر ويجلب معه هدية : خمسين لحم وكم طير حجل ورطلين دخان من قرية شبعا ورطلين عسل الخ ... فحضر ومعه الهدية فقدمها مناصفة الى المدير والباشكاتب (لأن اخذ هكذا مأمورية كان يدفع لأخذها سبع عشرين ليرة) وبعد مدة توجهت معه راجعاً الى راشيا وسلّمته كافة ما يخص المأمورية من دفاتر وجداول واوراق واخذت مضبطة من مجلس الادارة في براءة ذمتي من الأموال الاميرية وبحسن الاستقامة والصداقة بخدمة الدولة العليّة وهي محفوظة بين اوراقي للان . ومضيت مدة شهر بالدعوات والزيارات الى اعيان ووجوه القضاء مظهرين الأسف لمبارحتي اياهم.. ونزلت للشام لعند المدير والباشكاتب والا حضر أمر من نظارة الطابو من الاستانة بتحرير البيوت والدكاكين والجنانين التي هي املاك؛ فقالوا لي ها الله ارسل لك مأمورية جديدة حسب ما طلبت لأنك ما رغبت عزل من هو في مصلحتك وها قد عينّاك مأموراً على حارة الميدان وهي (من جامع سنان باشا الى بوّابة الله) وانت عيّن من تحبه يكون معك كاتب وتحصيل دار؛ فشكرت المولى تعالى على ذلك : وشكرت الطافهما وشولي بانظارهما وبدأت بالتحارير ويكون معي مختار المحلّة وخادم ونفر وضابطين وهنا نقول عمّا كان يفعله قدامي مختار المحلة واوجه الزقاقات التي كنا تحرير بيوتها من حسن الضيافة ودفع الرسوم حالا : لكن بعض وجوه حارة النصارى واليهود لاموني بحيث ما اخذت تحرير تلك الحارات وانا ساكن بينهم . فأجبتهم لا احب أحكم بابناء مذهبي فأكون مغلوب بحيث ان تساهلت معهم بوضع الرسوم يقولون مرتشي واعطّل ناموسي وشرف مأموريتي المأمون عليها واذ وضعت الرسوم القانونية لخير الخزينة يلومونني بأنني لا اراعي الفقراء والمساكين فهذا اخذت مأمورية تحرير محلات الميدان فأكون مرتاح الفكر واخيراً اخذت مضبطة من مختارين واعضاء وامام محلة الميدان بصدق واستقامة والسلوك الحسن مع الرفيع والوضيع وهي محفوظة بين اوراقي .

وقع الحرب فيما بين دولة روسيا والدولة العثمانية فوقع الخوف والرعب في

قلوب المسيحيين وبدأوا بالهرب الى القرى خارج الشام خوفاً من يصيبهم من القتل والذبح مثل حادثة سنة الستين فأنا ايضاً خفت مثلهم وقلت الى مديرنا اسماعيل حقي بك (لأن المدير الاول رفيق نقل الى لواء عكا) والباشكاتب عمر بك ارجوكم تعطوني رخصة شهر لأتوجه الى لبنان لتفقد على اهلي حيث مر عشر سنوات ما نظرتهم ... فأجابوني قد خفت مثل بقية النصارى فلا تخف فانت دائماً عندنا وفي بيوتنا لا يصير عليك ادني تعدّي ولا ضرر وكمّل تحرير اشغال مأموريتك وبعده نعطيك فرصة تذهب لاهلك مدة شهرين فما اثّر فيّ هذا الكلام . واخبرت عبدالله افندي عسطين[1] من قيتولي لأنه كان عضواً في مجلس ادارة ولاية سوريا عن الطائفة المارونية فقال لي اذا كنت خائف ومصمّم على ترك مأموريتك فوجود محل آخر وهي كتابة تحريرات البقاع الشرقي وبلدك بكاسين تبعد عنها مسافة سبع ساعات فتكرت الطافه وتدبيره حيث تخلصت من الشام بأحسن اسلوب وبالحال قدمت استدعاء للوالي وطلبت هذه المأمورية وبالحال صار امتحاني في قلم تحريرات الولاية وصادق مجلس الادارة على الامتحان بأني مستحق احسن من هذه المأمورية حيث يعرفون صدق خدمتي في قلم الدفتر خاقاني واستلمت هذا القرار وسلّمته الى قلم تحريرات الولاية بالحال حرّروا الأمر وختمته من الوالي حمدي باشا ووضعته في جيبي ، ورجعت قلت للمدير والباشكاتب بحيث لا تسمحوا لي بالذهاب لأهلي فانا مستغني من المأمورية وبحيث اعرفت لأفندينا الوالي ولبعض اعضاء مجلس الادارة عن الذهاب الى لبنان لعند اهلي فوجدوا محل كتابة البقاع الشرقي محلولا وقالوا ان البقاع وجبل لبنان متصل ببعضه وقريباً لأهلك وانت اهل للمأمورية أحسن، نظراً لصدق خدماتك وها سلّموني امراً بالمأمورية ... فأجابوني يعزّ علينا فراقك وترك مأموريتك وبأي وقت رجعت للشام ترجع لنا لعندنا محلات كثيرة لك فأجبت ان ما حصل لي من التوفيق هو بحسن انظاركم عليّ وقد ودعتهم باسف كلّي وزرت الاعيان مثل الأمير عبدالقادر. المغربي المشهور ومحمود افندي حمزه مفتي الولاية ومثله من النصارى واليهود ودّعتهم وحضرتُ الى معلقة زحلة مركز قائمقامية البقاع العزيز والقائمقام وقتئذ اسماعيل علي بك فأخذ أمر الولاية وحرّر امراً الى مدير البقاع الشرقي يتعيني الى كتابة تحريرات ومجلس المديرية فتوجهت الى قرية غزّة مركز المديرية واستلمت اشغال المأمورية وهو لا يعرف القراءة والكتابة فانسرّ بحضوري اذ عرف باني محرر عربي وتركي والمدير تركي يدعى حسن عوني افندي ...

١) وهو من عائلة ابي خرص توفي سنة ١٨٨٩.

وصرت انا مدير وكاتب فقط هو يضع الختم . والقرية ليس فيها بيت نصراني كلها اسلام فبقيت ضيفاً عنده مدة فاستأجرت غرفة بين المحل والسكان ، وانا صرت معذّب بامور المعيشة ولا ارغب اثقّل على المدير بالأكل والشرب فصرت يوم الاحد اتوجه الى قرية جب جنين لاستماع القداس الالهي فوجدت مركزها جميل وهواءها جيد واهلها اسلام والنصف نصارى كاثوليك وروم ومنها عضو مجلس المديرية سمعان الحاج عن الروم وابراهيم رزق عن الكاثوليك وايضاً نوري افندي من الشام وكيل قاضي البقاع ساكن ومتملك فيها واعضاء الاسلام محمد سليمان من قرية لالا وحسين افندي من البيرة وسعد الرحمن المجذوب من غزّه فالأعضاء والنائب ومحمد سليمان يرغبوني بنقل مركز المديرية اليها يكون احسن واقرب شيء بالحضور للمجلس من قرية غزّه وقالوا ان القائمقام صاحبك فلا يتأخر عن طلبك بنقل المركز وهنا تحسن محل للسكن وخاصةً انت معذّب بأمور المعيشة فأجبتهم سأسعى بذلك واتكالي على الله وحده وبعد مدة توجهت لقبض معاشي ومعاش المدير من صندوق القائمقامية وكان تغيّر القائمقام واحضر احمد باشا اباظه اصله من صيدا ويعرف اخي الخوري يعقوب في عكا فتكلمت معه اذ عرفني جيداً واعرضت له عن قرية غزّه في جورة ونهر الليطاني بجنبها وهواؤها عاطل جداً مضر بالصحة ولا يوجد محل موافق لسكني وسكن المدير ولعساكر الضابطية وان جب جنين احسن جداً مركز للمديرية فأجاب لا ارجّعك خائباً برجوعك حرّر لي هذه الملاحظات بموجب تحرير من المدير وحينئذ اصدر امر بنقل المركز . بشرط لا تكلفوا الحكومة بدفع اجرة محلات الحكومة والضابطيه اجبته سأفعل ذلك بكل صراحة وتوفيق ما دمت مشمولاً بانظارك الشريفة : ورجعت الى المركز وخابرت المدير فانشرح من حسن هذا السعي الموافق له وهيئة المجلس والى عائلته ايضاً من طيب الهواء والماء ويوم الاحد حضرت الى جب جنين وتخابرت مع وكيل النايب والاعضاء سمعان الحاج وابراهيم رزق وهيأنا المحلات اللازمة ورجعت الى المدير فأحضرته ونظر المحلات فأعجبه ذلك جداً وقال لو ما تكون ذكي وماهر بالسياسة وحسن السلوك لما خدمت الدولة بالشام مدة عشر سنوات وخرجتَ منها صادقاً الجميع يشكرون اعمالك وحسن سيرتك ورجعنا الى المركز غزه وحررت للقائمقامية عن ذلك وان اعضاء مجلس الناحية يطلبون نقل مركز المديرية الى جب جنين وارسلته مع شاويش الضبطيه وافهمته اذا القائمقام سألك شفاهاً تجاوب حسبما حررنا وثاني يوم رجع وصلاً الأمر بالاستحسان نقل مركز المديرية لكونها بنصف القضاء ولأجل راحة المأمورين

واعضاء المجلس حالا نقلنا واسترحنا من حرّ تلك القرية وصرنا نشرب ماء لذيذاً ونشمّ نسيماً لطيفاً وطفنا نجول تلك الناحية لاجل تحصيل الاموال الأميرية وكان مجلس المديرية يحكم بالدعاوي الحقوقية والجزائية ويصلح بين المتداعيين واما الدعاوي الجنائية بالحال نعرض عنها للقائمقامية ؛ وفي هذه القرية يوجد عين ماء شحيح جداً ما يشرب منها الا المشايخ حيث نهر الليطاني قريب والفلاحين والمواشي تورد على نهر الليطاني ويوجد نبع ماء في الكروم قصدت جرّها الى القرية فتخابرت مع الافندية والمشايخ بذلك فتوقفوني بتدبير ذلك فتألّفت قائمة وحررت التعهر وعدد المواشي التي تشرب من هذه الماء حتى وصلت للبلدة ووزّعت مبلغ عشرين الف غرش عليهم فحسبهم خسروا على الدائمة ونبّهوا على ناظور البلدة بأن يأمر الحمامات البيوت ويخسرون ويدفعون المفروض عليهم ولما قبضت نصف المبلغ ارسلت تحريرا الى احد المعلمين معماري من بلدة الشوير كنتُ اعرفه لما عمّر بيتنا في بكاسين فحضر ومعه معلم آخر وبدأ بعمار حاووض عند العين وامرنا ان الذي لايدفع المفروض عليه من الأجرة يشتغل بحفر القناية حتى البلدة وارسلنا استحضرنا قناطل فخّار حيث بوقتها ما كان يوجد قناطل حديد وبدأوا المعلمين بعمار دواة من حجر لأجل وضع القناطل ضمنها وبعونه تعالى صارت الماء قرب جوار البلدة فجمعت الافندية والمشايخ وسألتهم في محل يصير وضع عين الماء لأجل يعمّروا قبّة وحاووض . فبعضهم قال بساحة البلدة بين حارة الاسلام وحارة النصارى وطلبوا رأيي اجبتهم ذلك لا يوافق اولا لا يوافق الساحة صغيرة لا تسع النساء اللواتي يحملن جرارهن ولا يسع البقر ولا الغنم والماعز وقالوا في اي محل تراه موافق اجبتهم على البيادر وراء الجامع حيث تتوضون وتصلون في الجامع فالاسلام انسرّوا والنصارى سكتوا سكوت زعل فقلت ان القصد بوضع العين وعمار حاووض على البيادر هو مناصفة بين حارة الاسلام وحارة النصارى ثانياً محل واسع تحضر الطزوش وتشرب وتؤيل على البيادر ثالثاً النساء يأتين ويملئن بكل حرية لا احد ينظرهن ؛ مثلاً الساحة يخجلون دخولها حيث انها ساحة عمومية رابعاً الماء التي تفضل بالحاووض يأخذها من شاء يزرع خضرة امام داره او بالالتزام فوافقوا جميعاً وشكروا من حسن هذا الرأي وهكذا تم هذا العمل الخيري بأمر الله تعالى .

ثم بعده باشرت بعمل خيري ايضاً وهو ان كنيسة مار جرجس للطائفة الكاثوليك ليس لها قبة ولا جرس ، لأنهم كانوا يدقّون على قطعة حديد معلقة بحائط الكنيسة ويخافون من تعليق جرس من الاسلام فحضرت احدى الليالي

لعند ابراهيم افندي رزق عضو مجلس المديرية وارسلت احضر الخوري سمعان رزق ووجوه الطائفة وقلت لهم لاي وقت ما تعمّروا قبة للكنيسة وتعلّقون جرس عليها فأجابوا الوقت غير موافق من وجود الاسلام بكثرة والحكم بينهم ؛ احبتهم هذا كان ايام التوفّض والوحشية واليوم صرنا بوقت التمدن والحرّية بالاديان وها الاجراس تقرع نهارًا وليلاً في كنائس الشام فوق رأس مدحت باشا رب الاصلاح وانا كفيل اذا احد تعارض من الاسلام فأحرر الى القائمقامية والى الولاية السورية بهذا والذي يعارض يصير نفيه من البلاد ؛ فأخذت الحماسة برؤوسهم وقالوا افعل ما بدا لك من هذا العمل الخيري الذي يبقى لك ذكرًا مؤبدًا اولاً جر الماء لقرية وثانياً بعمار قبة كنيسة القديس جرجس وتعليق جرس عليها . بالحال مسكت قائمة وحررت اسمي بريالين حميدي فأجابوا متشكّرين . فقلت اتوزيع يكون على النفوس رجال ونساء الذين يصلّون ويعترفون ؛ اجابوا تحت امرك . لا نخالفك ابدًا ؛ وبدأنا بتحرير النفوس وقلت الذين يتبرعون بمبلغ علاوة على المفروض على كل نفس يكون اجره عند الله ومارجرجس والثواب العظيم ... ولمّا انتهوا معلمي العمار من بنائها وخزان الماء كلّفتهم ان ينظروا بعمار القبة وكم تكلّف من الدراهم ؛ فسألوني هل نعمّرها بقنطرة واحدة قلتُ لا . ارغب ان تكون باربعة عواميد محبوكة بحديد . اجابوا هذا اوفق واظرف لكنها تكلّف اكثر من تلك ، فقلتُ لا بأس ؛ ابتدأوا بقطع العواميد وانا اجمع الدراهم اولا لعمار القبة وبعده لمشترى جرس وبالحال باشروا بعد مخابرتهم مع الافندية والمشايخ وقالوا لهم نحن نحن سلّمنا هذا الأمر لوليه الافندي فهو وانتم اخبر بذلك ؛ وبدأتُ بجمع المال المفروض على كل بيت والناطور داير عليهم إحضروا وإدفعوا أحسن ما يحضر الضابطيه يحصّل منكم جبرًا ويكلّفكم خسائر اكثر ما هو مفروض عليكم ؛ وجمعت مبلغاً يكفي لعمار القبة ؛ فحضرت لعند ابراهيم افندي واستحضرنا الخوري ووجوه الطائفة فقلت لهم ان المبلغ المجموع كان لعمار القبة يلزمنا مبلغاً اخر لمشترى الجرس اجابوا حتى نكمّل القبة وينظرها الاهالي وينشرحون من ذلك نعود نجمع ثمن الجرس لا بد منه واذ قارب النهاية من القبله ؛ جمعتهم عند ابراهيم افندي وعملت قائمة لجمع الدراهم وارسلت تحرير مع رسول الى قرية بيت شباب الى بيت ساكبي الاحراس وسألتهم ان كان حضر جرس وزن ٢٥ رطل او اكثر الى ٣٠ رطل وعن مقدار الثمن فرجع الرسول يخبر بأن الجرس حضر طبق المرغوب ؛ بالحال جمعت الدراهم مبلغ ٣٠ ليرة وارسلت جمّالا لاحضار الجرس وبعده حضر الجمّال ووصل الى جسر جب جنين ، والنصارى مرادهم يستقبلون

الجرس بالهرج والزلاغيط والتواس فحسبت لوقوع حادث من الاسلام مع النصارى فتوجهت الى مدير افندي وقلت له عن ذلك . وحذرًا من وقوع حوادث تخلّ بالراحة يلزم ان تنزل معي وتأخذ كم نفر ضبطية مسلحين ونتمشى على سطوح التي بين حارة الاسلام والنصارى ومتى نظرونا الاسلام فلا يعودون يبدون ادنى حركة مكسرة واذا وقع حادث عظيم فتكون حسابك المسؤول امام الحكّام فأجابني بكل نشاط وقال لي افكارك صائبة حسنة . بالحال استحضر خمسة انفار ضبطيه مسلحين ونزلنا الى اسفل البلدة والا النصارى يهزجون ويقرّسون كأن عريس وعروس حاضرين لعندهم ؛ والاسلام رجالا ونساء على السطوح يتفرّجون ويدمدمون وقد نظرونا نتمشى على السطوح حتى وصل الجرس الى الكنيسة والمعلّمين رفعوه وركّبوه على القمة وبدأوا يقرعون الجرس فرحين مسرورين لحصولهم على هذا العمل الخيري بدون ما كانوا متأملين ان يحصلوا عليه . والا وانا موجود في عرفتي جاء نفر ضبطيه يقول لي قم لعند المدير فيها اسلام مشايخ وجهّال هايشين على دق الجرس وبدّهم ينزلوه ويكسروه ، بالحال جئت لمركز المديرية فوجدت الخبر صحيحاً فوقفت على باب المجلس ونظرتُ سادات ومشايخ الاسلام جالسين : واما الجهّال خارجاً بالفسحة فقلتُ بصوت عال ما لكم أيا سيّاد ومشايخ العاقلين ولماذا الجهّال خارجاً هائشين أما تخجلون أمّا تحسبون الى الحكومة السنّية أما تعرفون هذا الحادث مكدّر ومخلّ بالأمن وبالراحة العمومية : فأين حريّة الأديان والمذاهب ، هل بعدكم في ايام الجاهلية ؛ اما تعرفون بان هذه الهياجات تقع على رأس العقّال ؛ ما كنت متأمل ولا افتكر فيكم هذا العمل . فقالوا تفضّل اجلس . انت الذي عملت هذا العمل ونشّطت النصارى وها عمّا يدقّون الجرس نكايةً فينا وانهم بوجودك دعسوا رقابنا فما كنّا متأملين منك ذلك ؛ اجبتهم ان دق الجرس ليس كما تزعمون نكايةً وشماتةً فيكم فيها انتم تؤذنون بالجامع خمس مرات بالنهار وفي الليل تسبّحون الله ؛ فهل احد يعارضكم ؛ والنصارى ايضاً يدقّون الجرس تسبيحاً لله ويعلّمون الشعب وقت الصلاة . أما نظرتم الاجراس في الشام تقرع فوق راس الولاة والحكّام ولا احد يضجر ويقول نكاية بالاسلام : والآن عمّا يدقّوا الجرس كثيرًا تجربة لنعرفه صاغ او به كسر أو سقط ليس غير هذا ، وندمت الناطور وقلت رُح قلّهم عن امر مدير افندي يبطلون قرع الجرس بالحال بطّلوا . فقلتُ لهم ها بطّلوا يعملون نكاية فيكم وضحكت . فأجابوا كلامك هو صحيح كله . نحن وقع منا ذلك على غير تروّي والجهّال ماذا نعمل فيهم هاجوا ونحن حضرتنا لهنا

على امل بقوة الحكومة نردعهم عن غيّهم . فأجبتهم لقد اصبح لي مدة سنتين فيما بينكم ولم انظر ادنى حادث بينكم الا اليوم فلا بأس لا بدّ للعاقل من هفوة ونحمد الله الذي مضى الأمر على سلام وحبّ: ان السلام والاتفاق والحبّ يكون موطّد الاركان فيما بينكم وتعيشون براحة بظل دولتنا العليّة : والا حضر سمعان افندي الحاج وابراهيم افندي رزق اعضاء المجلس ومعهم نوري افندي نائب القاضي وبدأوا يتعاتبون بكلام لطيف : والله كان ولم يزل معنا وينصرنا على اعدائنا المنظورين وغير المنظورين ويبعد الحسودين وصانعي الآثام عنّا. وبعد هذا ارسل سمعان افندي الحاج طلبني لعنده بالسهره : فتوجهت وقال لي ها المعلمين اتّهموا من كنيسة اخوتنا الكاثوليك نرجوك ان تعمل همّة وغيرة حتى يعمّروا قبة لكنيستنا اجبتهم مستعد لذلك وكنتُ مفتكرًا بهذا العمل قبل ما توجّهوا المعلمين : فادًا حلّي الناطور يسّه على وجود الطائفة ونوزّع مبلغاً ويباشروا المعلمين بقطع الحجار لكن اظن ليس نعمّرها مثل قبة كنيسة مار جرجس لأن جماعتكم غير مقتدرين على دفع المصاريف مثل طائفة الكاثوليك اجابوا كلامك حق : فأنت مفوّض بالمخابرة مع المعلمين وكيف يكون عمار القبة : اجبتهم يكون البناء بقوس واحد والعمار يكون قوي على حمل وقرع الجرس ، قالوا ما تشاء افعل ونهار غدًا تجمع ثمن يلزم ونوزّع الدراهم بموجب قائمة وانشاء الله ما احد يتأخر عن الدفع لحكذا عمل خيري ولو الواحد باع راس بقر ، حينئذ قلت للمعلمين باشروا بقطع الحجار وتحتها وتكون القبة بقنطرة واحدة وثاني يوم ليلاً اجتمع بعض وجود الطائفة في بيت سمعان افندي وحضرت ونظّمت قائمة بأسماء الاشخاص ونبّهت على الناطور بأن ينبّه على الجميع للدفع حالا بدون محاولة من أحد : وصرت اقبض الدراهم واحفظها في صندوق عند سمعان افندي لمحاسبة المعلمين عنده : فتزعل سمعان افندي وقال انت مأمون على مبالغ الآلفات من الليرات فلماذا تضع الدراهم بصندوقي اجبته لا فرق بذلك فان العمل هو خيري لرفع شأن الكنيسة والنصارى : حتى تم عمار القبة وحاسبنا المعلمين ودفعنا لهم اجرة اتعابهم وبدأنا تجمع دراهم ثمن الجرس وارسلت رسول الى بيت شباب الى المعلمين بيت نقاع ويكون وزن الجرس ٢٥ رطل لحد ٣٠ رطل فحضر لي الجواب بان الجرس حاضر فأرسلنا جمّال فاستحضره وركّبه المعلمون ودقّوه فوجدناه سالماً بدون عيب فشكرنا الله على اتمام عملنا هذا العائد لخير الكنائس وشرف الديانة المسيحية فيكون قد عمّرنا وأنشأنا ثلاثة اعمال خيرية في بلدة جب جنين وهي جرّ الماء من الكروم وعمار قبّتين للكنائس وتعليق الاجراس عليهما فيكون اجرنا والثواب من الله

الكريم ولولا عنايته ورضاه لما كنت تمكّنت من انشاء ذلك وثلاث اهالي تلك البلدة يتذكروني وكلما ذهب مكاريّه من بلدتنا لعندهم يعتبروهم ويسألون عني ؛ وفي هذه المدة كنت مستأجرًا عليّة احد معتبري طائفة الكاثوليك محل جميل المنظر حوانيها سطوح لتنعّم الهواء مساء وصباحاً وكانت زوجته من مدينة زحلة تعرف انواع الطبخ وكيّ الثياب وكنتُ مرتاحاً بأمور المعيشة وكنت في بعض ايام الآحاد اتوجه لاستماع القداس في قرية الخربه في البقاع الغربي وبعض مرار في قرية صغبين عند الخوري حنانيل (الخوري) المشهور مع اولاده وبعض مرات في عيشيت عند الخوري يوسف عطيه أصله من بلدتنا بكاسين ؛ وبعض مرات احضر الى بيت في بكاسين في ايام المرفع ونظرت فريده بنة ال[illegible] درس حبيب عمه درست الاقتران بها اذ نظرتها انها عاقلة لا تعرف الجهل مثل بقية البنات فقلت لأخي اسعد اطلبها من والدتها لأدّ حوجه كاهر في مصر فرضيت الأم والبنت فأرسلت اليّ ورقة التفسيح بالقرابة وعدم المناداة ودعيتُ وجوه العائلة عمي ابو سمرا غانم المشهور والخوري يعقوب عواد زوج اختي بريجيتا من الميدان واولاد اخوالي من جزين وكهنة القرية الخوري اسطفان والخوري جرجس حرفوش وكان الاكليل يوم خميس المرفع في ٩ شباط سنة ١٨٨١ وفي اوائل الصوم توجهتُ بها الى مركزي في جب جنين ونزلت في بيت الشيخ سلحم جيمور الذي والده كان حاكماً في البقاع الشرقي قبل حادثة سنة ١٨٦٠ فاستقبلونا الاهالي جميعاً اسلام ونصارى وظلوا في فرح وجزل ورقص الى نصف الليل (واخذت معي عمة فريده امينه[1] حتى تدرّبها وتعلّمها الطبخ والغسيل وامور البيت) .

وثاني يوم وصولنا بدأت أهل البلدة اسلام ونصارى يتواردون لعندنا حاملين الهدايا من دجاج وحلويات ويلعبون فرحين مع فرحنا وخاصة جيراننا نساء اولاد جيمور وزوجة ابراهيم افندي رزق وزوجة عبدالله نصر جارنا الأول (الآن هما من مدينة زحلة) بعد هذا المدير حسين افندي كان ساكن في علية الامام الشيخ سليمان الخطيب فعقد الزواج على ابنته فاطمه وهجر زوجته : (والصدف انها بعين واحدة وهو مثلها واشترى زرقاء بعين واحدة . فاصبحوا ثلاثة في بيت واحد تبارك الله في مخلوقاته) . وصرنا نتوجّه سويّة لتنعّم الهواء في الكروم وتمضّي اوقات بسط وسرور مدة والا جاء امر من الولاية بتعيين طاهر بك بدرخان باشا مديرًا وحسين افندي يتوجّه الى جبل صهيون تابع

١) امينة حبيب ابراهيم غانم تأهلت من يوسف الحداد من بكاسين وانجبت ابنة وحيدة دعيت صفاء .

متصرفية اللاذقية : فتبدّل فرحه بغمّ وكدر وتوجّه تاركاً عروسته في بيت اهلها فقال لي مثلما كنا ارعب منك ان تكون ملاحظاً بيت عمي بالطاف وحنوك بما يلزمهم حتى يفرجها الله تعالى علينا بخير . فحضر طاهر بك وتجولنا معه في قرى الناحية لجمع الاموال الاميرية وخلافه وما طاب له الاقامة في المديرية لأنه طالب العلو والرفعة وبالحقيقة هو اهل لمديرية اكبر وبعدما استقرّ مدة ثلاثة اشهر وكّلني باشغال المديرية وقال بالحق انك تكون فيها مديرًا لا كاتباً فأجبته متشكرًا على كلامه اللطيف ودعيت له بالترقي والنجاح في خدمة الدولة العليّة لأنك جدير بها عن أب وجد وبعد ان مرّت مدة حضر محمد افندي كُرد بدلا عنه فوجدته رجلاً ماهرًا بالاحكام والسياسة وما مضى مدة والا ترقى وتعيّن قائمقاماً لقضاء السلط وحرّج عليّ بالتوجه معه فاعتذرت له لبعد المسافة على لبان وعن اهلي واقاربي ودعيت له بالتوفيق والنجاح وفوّضني بالوكالة بالمديرية مدة والا حضر خبر برجوع حسين عوني افندي مديرنا السابق فبشّرت عمه وعروسته السيدة فاطمه فكان لهذه البشرى رنّة فرح وسرور وقالت لي ان بوصوله اعمل لك ليلة فرح نأكل ونشرب معه بكل سرور وحظ وبعد مدة وصل مديرنا واستقبله الاهالي بكل سرور .. ورجعت اشغالنا تجري بمجراها ... واما تعيين طاهر بك ومحمد علي كرد الى مديرية البقاع هي سياسية حتى يرقّوهم الى وظيفة قائمقامية تدريجاً لهذا ما استقاموا في مديرية البقاع لانها اجدر بوظيفة القائمقامية . وما مضى مدة الا حضر أمر بنقله الى جهات اللاذقيه وحضر حسن افندي بيش نابلسي الاصل عديم القراءة ومعه شاب كاتب اصله من معلقة زحله فتوسوست وقلت محضّر معه كاتباً وربما يحرر ضدي ويضعه في مأموريتي فشعر هو وقال لي لا تزعل وينشغل فكرك بحيث معي كاتب يدي فهذا ربيته عندي وعمّا آخذه معي في كل المأموريات التي خدمتها فأنت تبقى في مأموريتك بدون ادنى ريب . لكن انا قد مشت الاقامة بحيث صار لي مدة طويلة في البقاع .

فتوجهت الى القائمقامية واخذت رخصة مدة شهر ومضبطة بحسن احوالي وصدق خدماتي من مجلس ادارة القائمقامية ورجعت فوجدت اخي اسعد في بيتي بالحال ارسلت معه بعض اثاث البيت وايضاً فريده ونبيهة الى بيتنا في بكاسين . فزعل المدير وعاتبني على ذلك وقال لي لا اتركك تذهب فأجبته (بالكذب ان والدتي مريضة وطالبة حضوري ليس الا هذا وانا انشاء الله ارجع لمأموريتي حسب امرك) .

وحضرت الى بكاسين وخرج كافة اهالي جب جنين لوداعي خارج

البلدة وحرّجوا عليّ بالرجوع .. وبعدما مكثت مدة في البيت مع الاقارب والاصحاب توجهت الى مدينة صور حيث اخي الخوري يعقوب كان ترك خدمة رعية عكا وبقي نائب اسقفي حسما كان وركّز في صور : فأخبرته عمّا جرى وبالصدف كان صادر أمر بنقل كاتب الاستطاق من محكمة صور فاخبرني انهاء بتعييني بدلا عنه من القائمقامية ونائب الشرع وحالا ركبت ليلاً حيث كان خطار افندي تابت متوجهاً الى بيروت ونعم الرفيق فوصلنا بيروت مركز المتصرفية ونزلت ضيفاً في بيت الدكتور شاكر بك الخوري وبعده توجهت الى بيت نعوم افندي قيقانو رئيس محكمة الجزاء في بيروت وقدمت له تحرير القائمقام والنائب فقرأهم واجابني بأسف كلي . اقول لك انه الشارح تعين كاتباً واستلم الأمر وتأثرت من هذا الخبر . لكن الفيت همي على ربي وهو يدبرني . ورجعت فأخبرت الدكتور شاكر وطلبت مساعدته لأحد غير مأمورية وعزمت العمل خاصة في قضاء صور لمناظرة المزارع التي هي ملك اخي الخوري ولي اسهم فيها . وتوجهت لسرايا الحكومة ودخلت على مدير الطابو وقلتُ له ان لي الاسبقية في الشام وراشيا فأجاب ليس يوجد محل حتى اضعك فيه فأبقى تردّد علينا وتساعد الكتبة في اشغالها حتى الله يفتح مكاناً لك تكون انت احق به : وترددت على محلات في السرايا اخيراً نظرت فيليب افندي ملحمه مدير الرسوم واخبرته بما حصل وطلبت منه مأمورية في قضاء صور فأجاب نظراً لما عملته من المساعدة لي والى مأموري تحرير الدخان في قضاء البقاع فيها انني احرر الى مدير دخسان صيدا وهو يحرر الى مأمور صور بتعيينك مأموراً لتحرير الدخان واخذت بعض تحارير الى قائمقام صور مصطفى بك قنواتي شامي : واعرفه لما كنت بالشام ورجعت حالا الى صيدا حيث كان تعيين المأمورين جاري بوصولي ، فأخذت مسيو برتران وابيلا وحضرنا الى عند المدير هاشم بك وقدمت له تحرير فيليب افندي ملحمه والخواجات المذكورين تكلموا معه سراً بالحال اطلعهم انه تعين مأموراً لقضاء صور (واخذ منه دراهم) فقالوا الخواجات للان ما استلم الامر المعين والأمر بيدك فالتي المسؤولية على المدير الآن فيليب افندي وقل ان بشارد افندي غانم معين من بيروت : فاختار المدير حيث يعرف ليس معي دراهم : فأجاب بحيث قضاء صور واسع فنعين مأموراً للساحل ومأموراً لناحية الجبل : وخيّرني ايها تريد اجبته احب الجبال العالية ، للحال سلمني امراً الى مأمورية صور بتعييني مأموراً لتحرير الدخان له في ناحية تبنين فشكرته مع الخواجات برتران وابيلا وتوجهت الى صور : فأمور قضاء صور قد استدعى للقائمقامية

طالباً تعيين محصلين للدخان مسيحي وشيعي وهو عين كاتباً لمسك الدفاتر وقد تمّ توجهنا الى تبنين مصحوبين بالأوامر الى مديرية ناحية تبنين باجراء المساعدة لنا بما يلزمنا وبدأنا بالتحرير وبقينا من ثلاثة اشهر والمعاش الشهري هو سبعاية غرش صاغ ما عدا الذي كان مشايخ القرى يعطونا اياه لأجل مراعاة وتخفيض القيمة بالدخان فكنتُ اصدق بالمراعاة لهم مع المحافظة على حقوق الادارة اد وجد اخيرًا بأن الذي حررته يفوق زيادة عن تحرير العام الماضي فالاهالي شكرت والادارة تأكدت صدق الخدمة لها بوجود الزيادة عن العام الماضي . وبعده اتى الشتاء واتى اوان تعيين مأمورين لتعداد الاغنام والمعاز فالقائمقام مصطفى بك قد عيّني مأمورًا لناحية مديرية تبنين وصادق مجلس الادارة على ذلك . والا جاء امر من بيروت بترقي القائمقام بخلاف محل وحضر بدلا عنه ميشال افندي اده (بيروتي) واستلم الاشغال وسأل عن تعيين مأمورين لتعداد الاغنام والماعز فوجد ان جرى هذا التعيين والا جاء يرد الزيارة لأخي الخوري يعقوب وتخابر معه بأن حضر رجل ملتزم ان يعيّنه في احدى المأموريات ولا يرجعه الى بيروت خائباً من عنايته فطلب منه ان استعفي من مأمورية تعداد الاغنام وآنه شتاء وبرد في الجبل لا يوافق صحتي ووعده انه بالحال يعيّني مأمورًا لاحصاء النفوس في سنة ١٣٠٠ ابتداءها مارث سنة ١٣٠٠ . ونظرًا لوجود الحب والصداقة بينهما ووجدت مأمورية النفوس اشرف ودائمة بالحال حررت استدعاء بهذا الشأن طالباً استعفائي من هذا المركز .

وفي اوائل مارث سنة ١٣٠٠ حضر الأمر بتعيين مأمورين وكتبة وقومسيون للاحصاء وتعداد نفوس قضاء صور : فالقائمقام حتى يفي بوعده لأخي الخوري يعقوب بتعييني حضر وتخابر معه ومع يوسف افندي نجار عضو الطائفة المارونية بشأني وعضو الاسلام سعيد افندي مملوك صديق الطرفين فقرّروا على تعييني معاون مأمورية النفوس (حيث النظام لا يجوّز ان المأمور يكون مسيحي بسبب القرعة الشرعية واخذ الانفار العسكرية) وحصل الشوار بتعيين عبد الرحمن قبرصلي مأمورًا والمعاون بشاره غانم والكاتب وساعد اونباشي من العسكرية وقول اغاسي وعضو مسلم وعضو مسيحي وملازم عسكري هذا قومسيون تحرير تعداد واحصاء نفوس قضاء صور وباشرنا بالتحرير في مدينة صور ومنها لسواحل صور حتى ايام الصيف ، توجهت لناحية مديرية جبل تبنين .. ولاشرح عمّا كان يحصل لنا من الاستقبال وحسن الضيافة وذبح الغنم والدجاج وحسن الفرش ودفع الدراهم حتى تراعيهم بحصر الاعمار وبيان العاجات الموجودة بالرجال ، الحالة كانت ايام صفاء وانشراح وقبض دراهم ،

فقط خسرت انا فرسي وحصتي من الدراهم المجموعة ربما طلعت بثمن الفرس المائتة . واما زوجتي فريده في صور قد قاربت الولادة فارسلت تطلبني لانزل الى صور فأخذت معي حصة القائمقام ثلاثون ريال مجيدي ونزلت لصور فوجدت ان مرادها ان تحضر الى بلدتنا بكاسين حتى تلد فيها فأخذت رخصة من القائمقام واحضرتها مع ابنتي نبيه الى بيتنا في بكاسين ورجعت حالاً لاشغال المأمورية حيث التومسيون كان في جهة عين ابل ورميش .

انتهى